

العملية العسكرية الروسية على أوكرانيا بين الإدراك الإستراتيجي وأساليب الدعاية والتأثير الإعلامي الرقمي

RUSSIAN MILITARY OPERATION IN UKRAINE

BETWEEN STRATEGIC AWARENESS, ADVERTISING METHODS, AND DIGITAL MEDIA INFLUENCE

كروم محمد صالح*

المدرسة العليا العسكرية للإعلام والاتصال – الجزائر

kerroum.81@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ القبول: 2024/09/25

الملخص:

تهدف دراستنا المعنونة بـ "العملية العسكرية الروسية على أوكرانيا بين الإدراك الإستراتيجي وسرديات الدعاية والتأثير الإعلامي الرقمي" إلى محاولة فهم التوجه الجيوسياسي الروسي في جواره الجغرافي القريب، والخلفيات الإيديولوجية الجديدة التي تقف وراء هذه السلوك، وللإلمام هذه الإيديولوجيا يجب قراءة أفكار الفلسفة الأوراسية الجديدة من خلال الاطلاع على كتابات بعض خبراء المدرسة الجيوبوليتيكية الروسية بالأمس واليوم، فقد أنجبت المدرسة السوفيتية – الروسية في مجال الدراسات العسكرية والجيوبوليتيكية شخصيات أكاديمية ذات صيت عالمي أسهمت بنظرياتها في صياغة التوجهات الاستراتيجية الكبرى للدولة في أذهان صانع القرار الروسي، خاصة مرحلة الرئيس الروسي الحالي "فلاديمير بوتين".

العملية العسكرية الروسية على أوكرانيا (24 فيفري 2022)، إحدى مخرجات هذا التوجه الروسي الحديث، حيث جاءت متكاملة شاملة ومتعددة المحاور والوسائل التقليدية وحتى الحديثة المبنية على التطورات الهائلة في تعرفها تكنولوجيات الإعلام والاتصال خاصة حرب المعلومات، فالدعاية المصاحبة لهذه العملية جاءت شاملة، متعددة الوسائل، والوسائط والسرديات، وذات طابع مؤسسي للدعاية.

أظهرت النتائج أن التواصل أنه فيه توجه جيوسياسي جديد لدى صانع القرار الروسي صاحبه عمل دعائي يتجاوز مرحلة الدعاية التي ازدهرت في العهد النازي إلى مرحلة الدعاية الوظيفية التي تصبح جزءاً من مكونات الدولة ووسيلة رئيسة لضرورة ممارسة الحكم. هكذا تخضع للتطوير والتقييم مثلها مثل بقية مكونات الدولة.

كلمات مفتاحية: الفكر الاستراتيجي الروسي، الأوراسية الجديدة، العملية العسكرية، الدعاية الروسية، روسيا، أوكرانيا.

Abstract:

Our study, entitled "The Russian military operation against Ukraine between strategic perception, propaganda narratives, and digital media influence," aims to try to understand the Russian geopolitical orientation in its close geographical neighborhood, and the new ideological backgrounds behind this behavior. To understand this ideology, the ideas of the new Eurasian philosophy must be read through Looking at the writings of some experts of the Russian geopolitical school yesterday and today, the Soviet-Russian school in the field of military and geopolitical studies has produced academic figures with a global reputation who contributed with their theories to formulating the major strategic directions of the state in the minds of the Russian decision-maker, especially the era of the current Russian president, Vladimir Putin. .

The Russian military operation against Ukraine (February 24, 2022) is one of the outcomes of this modern Russian approach, as it was integrated, comprehensive, and multi-axial, with traditional and even modern means based on the tremendous developments in information and communication technologies, especially information warfare. The propaganda accompanying this operation was comprehensive and multi-means. , media and narratives, and the institutional nature of propaganda.

The results showed that communication contains a new geopolitical orientation for the Russian decision-maker, with propaganda work going beyond the stage of propaganda that flourished during the Nazi era to the stage of functional propaganda that becomes part of the components of the state and a main means necessary for exercising governance. Thus, it is subject to development and evaluation, like the rest of the components of the state.

Keywords:

Russian strategic thought, New Eurasians, military operation, Russian propaganda, Russia, Ukraine.

● مقدمة:

أثبتت السلوك الروسي على أوكرانيا وتناقض المواقف الدولية حياله حجم الهشاشة التي تعتو النظام الدولي الحالي، حيث نلمس من خلال تباين الأفعال وردود الأفعال الدولية سواء المؤيدة منها أو المعارضة لسلوك روسيا لما تسميه بـ "الدفاع عن الأمن القومي الروسي" بداية تراجع هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على القرار الدولي.

يتزامن هذا مع ظهور مجموعة من الدول تسمى بالدول الصاعدة كفواعل جديدة متأثرة على الساحة الدولية، استطاعت هذه الفواعل أن تنفذ إلى المنظومة العالمية، حيث حققت نتائج جد متقدمة تعكس حالة جديدة في التدافع العالمي بين هذه الدول، الشيء الذي سيقود العالم لا محالة إلى مرحلة جديدة، أطلق عليها بعض المختصين في حقل الدراسات الدولية بمرحلة "ما بعد الهيمنة الأمريكية"، إذ حققت هذه الدول العديد من الإنجازات لاسيما ضمن نطاقها الداخلي والإقليمي وها هي اليوم تلج إلى البيئة الدولية.

تعتبر روسيا الفدرالية إحدى هذه الدول، إذ تزايدت درجة تأثيرها في الساحة الدولية بعودتها مجدداً إلى نطاقها التقليدي (الفضاء الأوروبي)، وكذلك تحقيق حلمهم القديم الجديد بوصولهم إلى المياه الدافئة (البحر الأبيض المتوسط) نظراً للمكانة الحيوية والجيواستراتيجية لهذا الفضاء في معادلة القوة الدولية، ومنه الارتباط مع محاور العبور الدولية، والوصول إلى باقي القارات خاصة القارة السمراء للبحث عن موطن قدم بين الدول الكبرى والقوى الاستعمارية التقليدية.

هذه التطورات المتسارعة على الساحة الدولية، جعلت روسيا تراجع العديد من مفاهيمها الإستراتيجية، خاصة في مجالي الدفاع والأمن، فقد صاغت روسيا إستراتيجية أمنية في بعدها العسكري منذ حرب الشيشان الثانية مع إستراتيجية جديدة لأمن الطاقة حيث تزايد توظيف هذا العنصر الحيوي في السلوك الخارجي الروسي لتحقيق أهدافها الاستراتيجية والتكتيكية.

هذا بالإضافة إلى الصين والتي أضحت لاعبا أساسيا بل محوريا في المعادلة الدولية خاصة مع إعادة إحيائها لطريق الحرير "مشروع الحزام والطريق"، ثم مرحلة وباء "كوفيد 19" وما بعدها، ومكانتها الاقتصادية اليوم في الأسواق العالمية بصعودها الذكي والسلس عبر العالم باستعمال القوة الناعمة، بينما تسعى البرازيل للحصول على مقعد دائم لتمثيل أمريكا الجنوبية في مجلس الأمن، في حين تبحث جنوب إفريقيا عن لعب دور أهم في القارة الإفريقية، وكما سعت هذه الدول الصاعدة إلى محاولة تأسيس العالم اقتصادياً لمواجهة هيمنة "بريتونودز"، من خلال ما يعرف بـ "البريكس".

كل هذه السلوكيات وبإصرار هذه الدول على خلق بيئة دولية جديدة متعددة الأقطاب تكون أكثر توازناً وعدلاً من الأحادية الغربية، جاء على إثرها السلوك الروسي في جغرافيته القربة على أوكرانيا كجزء من كل هذه الخطوات ليؤكد على هذا التغيير الحاصل في النسق الدولي، إذ تعتبر هذه العملية بالنسبة لصانع القرار الروسي "معركة وجودية" أي ببقاء روسيا في المعادلة الدولية.

1. عرض الدراسة الإجرائية:

1.1. إشكالية الدراسة:

سنتناول في دراستنا هذه أسس بناء عناصر الإدراك الاستراتيجي الروسي العلمية والعملية وتوجهها الجيوسياسي خارج حدودها الجغرافية، وكيفية توظيفها لعناصر القوة الصلبة والناعمة، باعتماده على عناصر الجغرافيا والثروات التي تمتلكها والتكنولوجيا الفائقة الدقة التي تمكنت منها، بما فيها تكنولوجيات الإعلام والاتصال، مركزين على العملية العسكرية على أوكرانيا والآليات الدعائية وأساليب التأثير الإعلامي في الفضاء الرقمي؟

1. 2. تساؤلات الدراسة:

- ما هي أساسيات التفكير الجيوبوليتيكي الروسي؟ ومن هم رواده؟ وكيف أثروا في صانع القرار في الكرملين؟
- ماهي الأساليب والوسائل المتبعة من طرف صناع القرار الروسي لتجسيد مدركاته على أرض الواقع؟
- كيف كان فعل وردة الفعل السلطات في تعاملها اعلاميا في الفضاء الرقمي باعتباره أحد الوسائل المهمة في الحروب الحديثة؟

1. 3. أهداف الدراسة:

- تسعى الدراسة إلى البحث في أساس التفكير الجيوبوليتيكي الروسي الحديث بين المدرستين التقليدية والحديثة.
- تتناول الدراسة سرديات الدعاية الروسية ودورها خلال العملية العسكرية على أوكرانيا، وقدرتها على التأقلم والبيئة الجديدة للإعلام الرقمي.
- التأكيد على دور الدولة وتدخلها في السياسة الإعلامية والاتصالية في ظل ما تعرفه الساحة من تطورات هائلة في تكنولوجيات الإعلام والاتصال.
- فهم أساليب الدعاية والتأثير خلال الأزمات والحروب الحديثة، خاصة الحروب الإعلامية وفي الفضاءات الافتراضية.

1. 4. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تدخل ضمن الدراسات الدولية والإعلامية، خاصة فهم وتحليل إستراتيجية السلوك الروسي ودعاية المنتهجة من طرف الدولة لحماية أمنها وسيادتها من خلال الحرص على فرض منظومة من القوانين والتشريعات في هذا الشأن، وكذا اكتساب التكنولوجيا المتحركة فيها، وعدم ترك المجال فارغا لإعداد الدولة للاستثمار فيه من داخل الوطن وخارجه.

1. 5. الدراسات السابقة:

أ- دراسة إعلامية صادرة عن مركز الجزيرة للدراسات بعنوان: "سرديات الدعاية الروسية أثناء الحرب على أوكرانيا والتماهي مع العالم الرقمي"، للكاتب محمد أمين موسى، أبريل 2022، تناولت الأساليب الدعائية المنتهجة خلال الأزمة الأوكرانية، حيث أن روسيا مستندة إلى ثقتها في الفضاء الرقمي وتراكماتها الدعائية منذ الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة مكنتها من التفوق في الخطاب والتحكم التام في المضامين امام الآلة الدعائية الغربية التي تقف وراء أوكرانيا، من خلال منهج التحليل الكيفي، مع التركيز على التحليل النقدي للخطاب عند التطرق للخطاب الدعائي للرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" أثناء الحرب الروسية-الأوكرانية؛ إذ يفيد هذا المنهج في مقارنة التواصل الدعائي الروسي من حيث التاريخ والخصائص والمؤسسات والأشخاص والآليات والتأثير.

ب- مقالة باللغة الروسية بعنوان: "مراحل التطور الروسي: وسائل الإعلام كمؤسسة للمعلومات والاتصال لتشكيل صورة السياسيين" للكاتبان "يوري دوروجكين"، "نيلي كاريموفا" سنة 2012، تحلل المقالة دور وسائل الإعلام الحديثة كمؤسسة للمعلومات والاتصالات في روسيا، كما تحدد التقنيات الفعلية لتشكيل صورة السياسيين، لتحديد دور الإعلام الروسي كمؤسسة للصور والتحليل والتقنيات الحديثة لتشكيل صورة السياسيين التي تستخدمها وسائل الإعلام، أجرى المؤلفون تحليلاً كمياً ونوعياً في عام 2011.

2. إعادة تشكيل عناصر الإدراك الجيو - إستراتيجي الروسي.

عقبت إنخيار الإتحاد السوفيتي عام 1991 شهدت روسيا الاتحادية إنتكاسة في الأداء الاستراتيجي العام للدولة، حيث مرت بمرحلة تخبط في الأداء بين التوجه نحو أوروبا في حقبة الرئيس "بوريس يلسن" 1991-1999، أو تغيير التوجه نحو "أوراسيا"، وبعد تولي الرئيس "فلاديمير بوتين" السلطة عام 2000 تمكنت روسيا الاتحادية من إعادة بناء ذات الدولة الروسية والحفاظ على وحدتها الوطنية وتماسكها الاجتماعي.

فضلا على ذلك؛ بناء عقيدة عسكرية جديدة مع إبقاء روسيا من حيث الأسلحة الاستراتيجية دولة فوق عظمى لما فيها من منفعة حتى على الصعيد الاقتصادي، الشيء الذي أحدث انتقالات واضحة في الفكر الاستراتيجي الروسي وتوجهاته المستقبلية نحو المناطق ذات الأهمية الأزرلية في المدرك الاستراتيجي الروسي¹.

تمكن صانع القرار من تحقيق الوجود الروسي في مناطق ذات الطابع الاستراتيجي في توجهه الجديد بغية استعادة المكانة العالمية، فجاء أول سلوك بضم "شبه جزيرة القرم" سنة 2014، كأحد أهم الانتقالات الاستراتيجية عبر فتح بوابة التوجه الجديد باتجاه البحر الابيض المتوسط من خلال إطلالته الجديدة على البحر الأسود وتحقيق الوجود في المياه الدافئة عبر تدخله مباشرة في الأزمة السورية، وكذلك بناء علاقات ثقة مع تركيا، بالموازاة مع التوجه شرقا والانفتاح الاقليمي على منطقة آسيا الوسطى.

في إطار هذا التوجه الجيوسياسي الجديد حول كيفية استعادة المكانة الإقليمية والدولية، لم يكن هناك انفصال فكري عميق حول أهمية المناطق التي كانت تحت سيطرتها أو في منظورها الإستراتيجي السابق إبان فترة الإتحاد السوفيتي، مقارنة بالمنظور الحالي لروسيا الاتحادية، لا بل مازالت بعض المناطق الجيوبوليتيكية تحظى بذات الأهمية، إن لم نقل أن أهميتها تفاقمت بسبب المتغيرات الدولية.

لفهم هذا التوجه لا بدّ من فهم طبيعة الإيديولوجية "الأوراسية الجديدة" التي يستند إليها هذا التوجه، والتي باتت تحظى بقبول في أوساط واسعة من النخبة السياسية والإعلامية والفكرية في روسيا بما فيها الدائرة العليا لصناعة القرار.

كما نلمس رغبة وإرادة قوية لدى القيادة السياسية الجديدة باسترجاع الدور الاقليمي والعالمي وتركيزها على البيت الداخلي، واتخاذ الإجراءات التي تسترجع بها روسيا أنفاسها لترتيب الأوضاع السياسية والاقتصادية والأمن المجتمعي، وانفتاحها على العالم والأسواق العالمية، حيث جسّ "بوتين" تلك الديناميكية والتغيرات التي تحمل في طياتها جملة من البراغماتية انطلاقا من العمق الاستراتيجي للدولة لإدراكه بأنه يمكن لروسيا أن تلعب دورا يليق بمقوماتها وقدراتها².

لإدراك السلوك الخارجي الروسي يجب البحث أولا في خلفيات الإيديولوجيا الجديدة التي تقف وراء هذا السلوك، والذي جمع بين وسائل القوة الصلبة (القوة العسكرية) بشقيها التقليدي والحديث اتجاه أكرانيا، وقبل ذلك في كل من جورجيا و سوريا وشبه جزيرة القرم، مع دراسة وتحليل إيديولوجية صانع القرار الإستراتيجي، والوقوف على مرجعيته الفكرية، والتي كرستها دوائر صناعة القرار الجيوسياسي الروسي بعد مرحلة إعادة بناء الذات بالتوجه إلى الخارج القريب، و الجوار الاقليمي في آسيا الوسطى، ومنها الوصول إلى محاور العبور الدولية عبر مياه المتوسط الدافئة.

¹ - ألكسندر دوقين، أسس الجيوبوليتيك: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ترجمة عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004، ص 19.

² - خميس جديد، نور الايمان قلاقي: تداعيات جائحة كورونا على اقتصاد روسيا وعلاقتها مع دول منطقة الشرق الأوسط والاتحاد الأوروبي، مجلة مدارات سياسية، المجلد 5، العدد 1، الجزائر، 2021.

3. المدرسة الجيوبوليتيكية السوفيتية - الروسية (بين الأمس واليوم).

للبحث في السلوك الروسي يجب قراءة أفكار الفلسفة الأوراسية الجديدة من خلال الاطلاع على كتابات بعض منظري المدرسة الجيوبوليتيكية الروسية بالأمس واليوم، فقد أنجبت المدرسة السوفيتية - الروسية في مجال الدراسات "العسكرية الجيوبوليتيكية" شخصيات أكاديمية ذات صيت عالمي، أسهمت بنظرياتها وأفكارها في صياغة التوجهات الإستراتيجية الكبرى للدولة في أذهان صانع القرار الروسي، منها بالأمس "بيتر نيكولايفتش"، "سافيتسكي" و"ألكسندر دي سفيرسكي"، واليوم مؤسس الجيوبوليتيك الحديث "ألكسندر دوقين".

فمنذ وصول "فلاديمير بوتين" للحكم في روسيا مطلع هذا القرن، يلمس المتتبع للسلوك الخارجي الروسي علاقة التأثير والتأثر بين "الجانب النظري" و"العمل الميداني"، لذلك وجب مناقشة العلاقة الجدلية بين الأكاديمي الروسي وصانع القرار في هرم السلطة في موسكو، وحدود تأثير الأول في الثاني، أو توجيه الثاني للأول، وفقاً للمصالح العليا للبلاد¹؟

يعد سكافيتسكي (1895 - 1968) من أبرز منظري المدرسة الجيوبوليتيكية السوفيتية حيث يعود له الفضل في إبتكار مصطلح جديد في علم الجيوبوليتيكية، وهو مصطلح "بؤرة التطور"، حيث كان يرى أن العرض الجغرافي لروسيا ينبغي أن ينصهر فيه كل من الوسط الاجتماعي - السياسي والأرض (عامل الجغرافيا) في وحدة متكاملة وشخصية جغرافية واحدة، كما يرى أن الدولة هي منطقة بؤرة التطور ولا بد أن تتطابق شخصيتها الجغرافية مع الوسط أو المجال الذي يشمل الجوانب التالية: "التاريخي - الإثني - الاقتصادي"، التي ترى فيه الدولة مجالا ينبغي أن يتطابق مع حدود الأرض التي تشغلها.

من أطروحات "سافيتسكي" إن فكرة بؤرة التطور تؤدي في حقيقة الأمر إلى خلق بؤر أخرى للتوتر، فإذا كانت الدولة ترى في "مجال صغير ما" أنه لابد أن يدخل في نطاق شخصيتها الجغرافية، فإن ذلك ينطوي على دخول ذلك "المجال أو الحيز/ المنطقة" في نزاع وجودي مع تلك الدولة، ويعزز التميز الإثني أو التاريخي لذلك المجال فرص واحتمالات هذا النزاع².

أما المنظر الآخر، فبرز صيته في خمسينات القرن الماضي هو "ألكسندر سفيرسكي" صاحب نظرية القوة الجوية، والتي تستمد صياغتها الفكرية من إفتراس مفاده أن "السيطرة على الجو تتيح إمكانية عالية للسيطرة على الأرض"، والتي يرى فيها مفتاح البقاء لروسيا، هذا الافتراض ورغم بساطته فقد غير الكثير أنداك من مفاهيم السوق العسكري ومحاور القوة الجيوبوليتيكية والجيوإستراتيجية.

ذلك لأن الخصائص الاستراتيجية للمجال الجوي تعالج في الواقع مضمونه الجيوإستراتيجي، معتبرة إياه مجالا ينطوي على أهمية فائقة تتجاوز المجالين البحري والبري، وتتلاقى منطقتي النفوذ الجوي عند "سفيرسكي" وتتصادم في مناطق هي: أوروبا الغربية، شمال إفريقيا وأقصى الشرق من آسيا، حيث كانت ترى أنه من يملك السيادة الجوية يستطيع أن يسيطر على مناطق تداخل النفوذ الجوي، ومن يسيطر على مناطق تداخل النفوذ الجوي يصبح بيده مصير العالم، الشيء الذي حققته الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد³.

* أبرز مفكري الجيوبوليتيك الروسية التي شكلت بنظرياتها أسس المدرسة الروسية قبل المنظر الحالي "ألكسندر دوغين"، وهو مفكر سياسي، ومنظر إستراتيجي روسي، ومتصوف سلافي، يعتبر من أكبر المدافعين عن "روسيا الجديدة" والطرح الأوراسي بحثاً عن هوية روسية مخالفة لما أرسنه القيصرية والبلشفية وما بعد تفكيك الاتحاد السوفياتي، وهو مؤسس "الحركة الأوراسية الجديدة"، يُحدد في محور أفكاره الجيوسياسية ونظرياته، والذي يستند فيها إلى الميزات الجغرافية والهوية التي يتمتع بها بلده (المجال الأرضي أو الروح الروسية)، حتى يصل إلى المكانة المؤثرة أو اللاحقة بروسيا بين الأمم.

1- جلال خشيبي، الجيوبوليتيكا الروسية الحديثة والمعاصرة بين النظرية والتطبيق، مجلة رؤية تركية، 2018، ص 98، على الموقع: <https://rouyaturkiyyah.com>

2 - المرجع نفسه، ص 101.

3 - عبد القادر محمد فهمي، المدخل إلى دراسة الإستراتيجية، دار مجدلوي، ط 1، عمان، الأردن، 2006، ص 9.

أما مفكر المرحلة الحالية والذي يعد من بين العقول المنظرة للرئيس الروسي هو "ألكسندر دوغين"، حيث يقدم من خلال كتابه المعنون: "الخلاص من الغرب، الأوراسية، الحضارات الأرضية مقابل الحضارات البحرية والأطلسية"¹، رؤية ناقدة أقرب ما تكون إلى الناقمة على الليبرالية الغربية، وأن قوة الدولة وتصوراتها الإستراتيجية الكبرى كانت قد ارتبطت من قبل بالمساحة الجغرافية لروسيا، بالإضافة إلى أن مهمة روسيا تتمثل في تحدي الغرب الأمريكي، هذه الهيمنة الغربية أخرجت الإنسان من بيئته الطبيعية، ولم تتمكن من تحقيق مراد الإنسان من الرفاهية والسلام، بل بالعكس دفعت الليبرالية بالإنسان إلى الاغتراب والوهم، وجعلت منها الولايات المتحدة أداة لتحقيق مشروعها الاحتكاري العالمي.

وقد وصف المعركة بين روسيا والغرب بصراع ملحمي مع المادية الأميركية والإمبريالية داعياً إلى تعبئة شعوب أوراسيا (أوروبا -آسيا) بقيادة روسيا، بما في تلك الجمهوريات التي كانت تحت لواء الاتحاد السوفيتي السابق مع إضافة ألمانيا ودول أوروبا الوسطى وحتى الشرقية، والتحالف مع تركيا وإيران، وإقامة تحالف "طبيعي" مع الإسلام لضمان وصول الروس لموانئ المياه الدافئة²، لخلق عالم متعدد الأقطاب.

هذه الأفكار بإعتبارها "فكر وطني روسي" تُدافع عن النزعة الأوراسية المحافظة بصفتها قاعدة إيديولوجية للسلطة الروسية الجديدة، هذه النزعة لم تكن وليدة الساعة وإنما تعود جذوره إلى المدرسة السوفيتية-الروسية خاصة في تلك المتخصصة في الدراسات العسكرية والجيوبوليتيكية، والتي أصبح لها صيت عالمي أسهمت بنظرياتها في صياغة التوجهات الإستراتيجية الكبرى الحالية للدولة في أذهان صناع القرار الروس، ولعل أشهرها وأهمها تلك النظريات المحاججة بقدرة وقوة البر الروسي وما يحتويه من مقدرات على مواجهة قوى البحر الغربية المناوئة.

أصحاب هذه النظرة يروا أن روسيا الجديدة يجب أن تقام دفعة واحدة كإمبراطورية، ويجب أن ترسي المبادئ الكاملة الأهلية والمتطورة في أساس مشروعها، ولا يجوز إرجاء هذه العملية إلى الأفق البعيد أملاً بتوفر الظروف الملائمة في المستقبل، هذه الظروف لن تتوفر أبداً ما لم يبادر الشعب الروسي والقوى السياسية الطامحة إلى العمل بإسمه منذ اللحظة إلى توطيد توجهها الجيوبوليتيكي والمؤسسي بصورة واعية وواضحة.

بالإضافة إلى عقدة الجغرافيا-السياسية لروسيا بإعتبارها حبيسة اليابسة لإفتقادها محاور الولوج إلى طرق التجارة العالمية عبر البحر، إلا من خلال ثلاث محاور فقط: الأول عبر البحر الأسود مروراً بمضيق البوسفور الذي تتحكم به تركيا، والطريق الثاني عبر موانئ "سانت بيترسبرغ" مروراً بالمياه الدنماركية، والتي عانى منها الروس كثيراً خلال الحرب الباردة. والأخير من خلال المتجمد الشمالي الطويل الذي يبدأ من "مورمانسك" ويمتد إلى ما بين "جرينلاند" و"آيسلندا" والمملكة المتحدة، ويستعمل بمعدل شهرين (02) من إثني عشرة (12) شهر، لذلك عمد صانع القرار الروسي للبحث عن المتنفس البحري الدائم نحو المياه الدافئة.

لذلك تبنت روسيا كل استراتيجياتها على مواجهة كل المحاولات الخارجية التي تحاول حصارها، فاحتلالها لشبه جزيرة القرم وتطويق أوكرانيا في أوراسيا، من جهة، والتدخل العسكري المباشر في الأزمة السورية شرق البحر المتوسط للحفاظ على قواعدها العسكرية البحرية، وبناء علاقات ثقة جديدة مع تركيا من جهة أخرى، كلها تجسيد للأفكار الأوراسية الجديدة.

في الإطار العام فإن السلوك الخارجي الروسي تجاه المتوسط لا يخرج عن هذه الاستراتيجية الشاملة والتي تعرف في المدرك الإستراتيجي الروسي بالمياه الدافئة، وذلك من أجل إثبات التواجد الروسي على الساحة الدولية والدفاع عن تحالفاتها مع شركائها الإستراتيجيين على العالم.

1 - ألكسندر دوغين، الخلاص من الغرب الأوراسية: الحضارات الأرضية مقابل الحضارات البحرية والأطلسية، ترجمة وتقديم: علي بدر. الطبعة الأولى، 2021.

2 - ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيك، مرجع سابق، ص 21.

تتسق سلوكات روسيا بوجه عام تجاه محيطها القريب مع الفكر الروسي السوفييتي وكذا المصالح الأمنية والسياسة الخارجية، وهذا لا يعود إلى القرن الماضي بل إلى ثلاث قرون خلت، غير أن الأنماط التاريخية للسياسة الخارجية الروسية تمثل نقطة انطلاق مهمة لفهم ما يحدث.¹

في المقابل؛ فيه طموحات استراتيجية غربية وعلى رأسها الطموحات الأمريكية، يمكن فهمها من خلال السياسات المنتهجة في المنطقة، وكذا من خلال أفكار المنظرين الغربيين (خاصة أنصار التيار الواقعي) ووجهات نظرهم بشأن العلاقات الدولية، والذين حملوا المسؤولية في الصراع الحالي على أوكرانيا للقوى الغربية، وفي طليعتها الولايات المتحدة، بسبب الإصرار على توسيع حلف شمال الأطلسي ليصبح على أبواب موسكو، وفي قلب "أوراسيا" نفسها.

لفهم وقراءة السياسات الخارجية الأمريكية اتجاه روسيا يكفي قراءة أفكار مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق "زبيغنيو بريجنسكي" في كتابه "رقعة الشطرنج الكبرى"،*، حيث يرى في أوكرانيا "مساحة مهمة من رقعة الشطرنج الأوراسية" و"مفتاح الاتجاهات الجيوبوليتيكية في أوراسيا"، باعتبارها تؤدي وظيفة جيواستراتيجية وحيوية بمنع روسيا من امتدادها كقوة برية نحو البحر الأسود، ومنع سلوك مسارها الجيوبوليتيكي - التاريخي نحو المياه الدافئة، ومن دونها "لا يمكن أن تكون روسيا إمبراطورية".

كما أن "بريجنسكي" نفسه، الذي يدعو إلى "تحرير" أوكرانيا من النفوذ الروسي، ويعيد تأكيد ضرورة مد النفوذ الأمريكي في اتجاه روسيا عبر الشعار الذي تغلف به سياسات الصراع والنفوذ الكبرى، وهو "الدمقرطة" و"الغربة" - حرفياً - في كتابه "رؤية استراتيجية" في عام 2012، وبالوسائل "الناعمة" نفسها، أي مخاطبة "النخبة الاقتصادية والطبقة الوسطى الروسية بمقولات "الإصلاح" و"التنمية" و"الاقتصاد الحديث"، في تكرار للخطاب الأمريكي التقليدي، أي أن تصبح روسيا غربية، بكل ما للكلمة من معنى، هذا من أجل أن تخسر روسيا هويتها وذاتها لحساب الغرب الأمريكي، وفي شكل أكثر انسجاماً مع النظريات الاستراتيجية، تصبح كياناً مناقضاً ومتخلفاً².

4. استراتيجيات الاتصال والتأثيرات الإعلامية في الصراع الروسي الأوكراني:

الحرب هي ساحات مثالية لتزايد الطلب على المعلومة التي تلبي حاجة المواطن في فهم حقائق الصراع ومستقبله الفردي، ومآل البيئة التي ينتمي إليها وسبل الحياة تحت القصف والدمار، يقول الباحث "ريمي ريفيل": "إن الحرب حدث إعلامي من الدرجة الأولى، فصور وسرديات النزاعات الدولية تغير طبيعة المعلومة، وتقود السلطات السياسية والعسكرية إلى محاولة التحكم منهجياً في مضمون الصحافة والإذاعة والتلفزيون"³.

المنتفع للعملية العسكرية الروسية على أوكرانيا منذ انطلاقها يوم 24 فيفري 2022، يلمس تلك المناهج المركبة التي تم من خلالها حشد الوسائل التقليدية والحديثة للحرب، فبالرغم من أن روسيا تمتلك عناصر القوة الصلبة بما فيها الأسلحة النووية غير أنها استعملت خلال هذه العملية الوسائل العسكرية التقليدية إلى جانب التكنولوجيا الفائقة الدقة، بما فيها التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال بغرض التأثير والإقناع والدعاية والضغط والإخضاع، الشيء الذي أرغم كل طرف على التحكم التام في رسائله ومضامينها لإضفاء الشرعية على سلوكه والدفاع عن إستراتيجيته.

¹ - أوليسيا تكاشيفا وآخرون: السياسة الخارجية الروسية في السياقين التاريخي والحالي، مؤسسة RAND، مركز للبحث والتطوير بمول فدرالياً برعاية جيش الولايات المتحدة الأمريكية، 2015.

* - "رقعة الشطرنج الكبرى: الأولوية الأمريكية وضرورتها الجيوستراتيجية"، واحد من الأعمال الرئيسية لـ: "زبيغنيو بريجنسكي" مستشار الأمن القومي للولايات المتحدة من عام 1977 إلى عام 1981، في إدارة الرئيس جيمي كارتر، صدر الكتاب سنة 1997.

² - ميشال أبو نجم، الأبعاد الجيوبوليتيكية للصراع في أوكرانيا: بريجنسكي ودوغين وخلفهما ماكندر!، مقال منشور بموقع الميادين، بتاريخ 28 مارس 2022، على الساعة 22:01، على موقع:

<https://www.almayadeen.net/Blog>

³ - Jean-Jacques BOGUI et Christian AGBOBLI: L'information en périodes de conflits ou de crises: des médias de masse aux médias sociaux numériques. Communication, technologie et développement n°4 | Septembre 2017, p 28.

العديد من الدراسات تتفق أن الدعاية الروسية المعاصرة مغايرة تماما للدعاية الغربية، فهي امتداد للدعاية التي نشأت مع نشأة الاتحاد السوفيتي¹، فالعملية العسكرية الروسية على أوكرانيا جمعت بين مكونين رئيسيين في الدعاية، أولا كانت البداية من الإتحاد السوفيتي سابقاً، والذي شارك في الحرب العالمية الثانية، ثم أصبح أحد الأقطاب المهمة في الحرب الباردة وما عرفته من استخدام مكثف ومتطور للدعاية التي استعملت فيها كافة الوسائل.

حالياً؛ أعادت روسيا توجيه نهجها من حيث إستراتيجيتها الاتصالية، بالاعتماد على القوة الناعمة، من دون أن تتخلى عن أساسها التقليدي، فمن خلال متابعة السلوك الخارجي الروسي في السنوات القليلة الماضية، وهنا نلمس أن موسكو جمعت أكثر فأكثر بطريقة لا يمكن الفصل بين القوة العسكرية والقوة الإعلامية، وقبل كل شيء، كانت تسعى هذه العقيدة المرجعية المستجدة بكثرة إلى اعتماد فكرة تغيير الاتجاه في الاستراتيجية العسكرية الروسية باستخدام حرب المعلومات والتخريب والمعلومات المضللة قبل استخدام وسائل القوة العسكرية.

عملت روسيا على تطوير امتلاك وسائل فعالة للتأثير على الرأي العام في الخارج لمكافحة حرب المعلومات للحفاظ على أمنها وسيادتها"، فقد برزت منذ عام 2013 طموحات جديدة، أرست من خلالها روسيا سياسة اتصالية موازية لسياستها الخارجية بهدف "إنشاء أدوات للتأثير على الطريقة التي يُنظر إليها بما في العالم"، وكانت دورة الألعاب الأولمبية الشتوية في "سوتشي" في عام 2014 والحرب الأوكرانية الأولى أو الحرب في "دونباس" في نفس العام فرصة للسلطة الروسية لوضع أطر سردية للتفسير تعمل على تحسين الإدراك وجاذبية البلاد حتى لو كانت في البداية تبدو أن السلطات مهتمة بإرضاء الرأي الوطني أكثر من الرأي الدولي، تستند حجة الاتصال الروسية هذه على الذاكرة التاريخية كـ: "الإمبراطورية الروسية العظمى، الحرب العالمية الثانية، الفظائع النازية، قوة وانحياز الاتحاد السوفيتي".

تبرز هذه الدعاية أن روسيا تشكل الجانب الأقوى في هذه الحرب، بالإضافة إلى امتلاكها منظومة حربية موازية تشتمل على خطاب استراتيجي وسرديات تكتيكية وأعمال تواصلية إعلامية تبرز عبر كافة الوسائط وتنهمر على الوسائل التقليدية منها والجديد، وجميعها يخدم الرواية الرسمية الحكومية أو توجه الدولة الروسية.

يقود الحديث عن الدعاية الروسية إلى خبرات واسعة في توظيف وسائل الإعلام والاتصال لخدمة الدولة من خلال توسيع مفهوم الدعاية لتشمل العديد من المفاهيم والمصطلحات، المرتبطة بمفهوم الصراع المعلوماتي الانعكاسية والسيطرة².

قادت الخبرات الدعاية المتراكمة لروسيا للاستفادة القصوى من إمكانيات الثورة الرقمية التي أوجدت شبكتي الإنترنت والويب، وتُوّجت بظهور شبكات التواصل الاجتماعي التي غيّرت المفاهيم التواصلية في العصر الحديث. فقد حرصت روسيا على أن يكون لها جيش إلكتروني مكافئ لجيشها التقليدي حتى تصبح القوة الدعاية الأكثر فعالية³.

زادتها الخبرات المتراكمة للدعاية أثناء الحروب والسرديات المؤسسة للخطاب الروسي، والتي تصبّ في مصلحة الممارسة الدعاية المعاصرة، مستفيدة من الدراسات التواصلية والنفسية والإعلامية التي تحلل الميكانيزمات والخصائص التي تميّز الدعاية الروسية عن غيرها.

¹ - Nicholas J. Cull et al., **Soviet Subversion, Disinformation and Propaganda: How the West Fought Against it: An Analytic History, with Lessons for the Present** Final Report ,London: LSE Consulting, October 2017, p 20.

² - Jayden Hodgson, "Renvisioning Russian Propaganda: Media Decentralization and the Use of Social Networks as a Means to Government Continuity," Open Political Science, 4 (2021): 255.

³ - Media Ajir and Bethany Vaillant, "Russian Information Warfare: Implications for Deterrence Theory," Strategic Studies Quarterly, 12, no.3 (2018): 76

بالموازة مع العملية العسكرية على أوكرانيا نلّمس حملة إعلامية غير مسبقة أُطلقت لدعم القرار الدبلوماسي والعسكري للقيادة الروسية، حيث تم تنفيذ الحملة بكيفية متناسقة، تضمنت رسائل دعائية دقيقة إلى كل من الجمهور الأجنبي والمحلي. وكانت المهمة الرئيسة لوسائل الإعلام الروسية داخلها هي التأكيد على ولادة روسيا من جديد كدولة قوية.

والغرض الآخر المتزامن للدعاية الروسية كان لإظهار ضعف العالم الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وجناحه المسلح حلف شمال لأطلسي، والتأكيد على انقساماته. وثمة هدف آخر هو تشويه سمعة أوكرانيا بالكامل، وإظهار فشل طموحاتها الموالية للغرب. وقد أثبت تقبل المجتمع الروسي للدعاية مرة أخرى، وبأن الإعلام هو أحد الأسلحة الرئيسية في ترسانة القوة الناعمة للكرملين، والتي تُستخدم بمهارة لتحقيق أهداف روسيا.

جاءت السلوك العسكري الروسي على أوكرانيا شامل ومتعدد المحاور والوسائل، كذلك الدعاية المصاحبة لها، كانت شاملة ومتعددة الوسائل والوسائط والسرديات. وذات طابع مؤسسي، ممثلة في التدابير النشطة وما نتج عنها من سلوك مصاحب من المؤسسات الإعلامية التقليدية والجديدة، فهذه العملية الإعلامية شهدت ذروة ما وصلت إليه الدعاية الروسية المسنودة فكرياً من أمثال المفكر الجيوبوليتيكي "ألكسندر دوغين" والتناغم الكبير بين القوائم على العمليات الدعائية في الخطاب والسرديات المعبرة عنها، ومنظري المدرسة الأوراسية الجديدة وصناع القرار في روسيا بما فيها خطابات الرئيس الروسي¹.

ركزت الدعاية الروسية على مصطلحات وكلمات مفتاحية منتقاة بدقة تجعلها تحدم المنظور الإستراتيجي الروسي الجديد وما صاحبها من مواقف وإجراءات على أرض الواقع، هذه الكلمات استخدمت في الوصف والتحليل والبرهنة بكيفية جازمة غير قابلة للتأويل أو النسبية أو التعميم على مختلف السياقات، حتى ترسخ في ذهن متلقيها مضمون الرسالة الواجب إيصالها، وكذا تحقيق التناغم بين معدي الرسائل التواصلية الدعائية الروسية وناشريها، الأمر الذي يؤدي من خلال التكرار وباستمرار إلى رسوخها ودخولها ضمن التداول اللغوي اليومي، خاصة عبر شبكات وسائل الإعلام الجديدة.

اتخذ السرد الدعائية الروسية التسلسل في استعمال الكلمات المفتاحية بإعتمادها على المصطلحات التالية: "نازيون جدد" و"قوميون متطرفون"، و"مجموعات راديكالية أوكرانية"، تهدد أمن روسيا ووجودها، الأمر الذي فرض على روسيا ضرورة إطلاق "العملية العسكرية الخاصة" للدفاع عن أمنها القومي ووجودها، ومن أبرز المصطلحات²:

1. العملية العسكرية الخاصة: لاتصف السردية الروسية ما يجري في أوكرانيا ابتداء من 24 فيفري 2022 بالحرب أو التدخل العسكري أو بالغزو، بل تعتبره مجرد عملية عسكرية خاصة ذات أهداف مخصصة.

2. النازية الجديدة: تختصر الدعاية الروسية النظام الحاكم في أوكرانيا بكونه واجهة للنازية الجديدة، يخدم السلطة الحاكمة في أوكرانيا والمالية للغرب الأمريكي، فكونه نظاماً نازياً يجعل منه الخطر الأكبر على روسيا - مثلاً حدث تاريخياً مع نازية هتلر -

¹ - ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، مرجع سابق، ص 400.

2 - محمد الأمين موسى، سرديات الدعاية الروسية أثناء الحرب على أوكرانيا والتماهي مع الإعلام الرقمي، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، أبريل 2022، ص 7.

3. الأمن والوجود: أن هذه العملية العسكرية تدخل ضمن الحرب الوجودية، فعلى الرأي العام الداخلي أن يؤيدها ويدعمها، وعلى الرأي العام الخارجي أن يتقبلها، فصفة "النازية الجديدة" مقرونة بحجة ضرورة التخلص منها بواسطة العملية العسكرية الخاصة، وصولاً لتحقيق الأمن القومي الروسي والدفاع عن وجود الأمة والأرض الروسية.

4. القوميون المتطرفون: تحتل الدعاية الروسية تصوير من يقاوم التدخل الروسي في أوكرانيا بأنهم قوميون متطرفون وجب قتالهم.

5. المجموعات الراديكالية: تتحدث السرديات الدعائية الروسية عن المجموعات الراديكالية الأوكرانية للتعبير عن المجموعات التي تقاوم الغزو، أو تتصدى للانفصاليين في شرق أوكرانيا، بما فيها الجيش الأوكراني النظامي.

المتابع للتصريحات الرسمية يلمس بأن الرئيس "فلاديمير بوتين" تولى بنفسه عملية تأطير القالب الدعائي الذي يشكل مرجعاً وأنموذجاً لكل من يتبنى الخطاب الروسي.

حيث استخدم أدق الخصائص التواصلية لرواد شبكات التواصل الاجتماعي، خاصة المؤثرين عبر اليوتيوب "تويت" والغوص في التفاصيل الدقيقة التي تشبه كاميرا الفيديو عند البث المباشر. فقد درج في بعض خطابه إلى نقل تفاصيل دقيقة من ميادين الحرب.

والتطرق للتواصل غير اللفظي لدى الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، عند إلقاء خطابه، وعقد اجتماعاته أثناء العملية العسكرية الروسية على أوكرانيا، في فهم الاستراتيجية الدعائية الروسية التي اتسمت بخصوصية تجعلها تستحق التفكر.

كما يلاحظ اتساقاً وتناغماً بين السردية المتبعة والحقل المعرفي الذي تتشكل منه والرسائل غير اللفظية الناتجة عنه، فضلاً عن السياق المرئي، فقد حرص الرئيس الروسي على رسم صورة مضادة لصورة الرئيس الأوكراني "فولوديمير زيلينسكي" حيث يبدو هذا الأخير في الزي العسكري وبوتين في زي المدني، ويطل زيلينسكي من مخاض متفرقة، بينما يطل بوتين من مكتبه، ويرفع زيلينسكي نبرة صوته متحدداً، فيبقى بوتين هادئاً. إنهما حرب تواصلية بامتياز يبرز فيها سلاح الدعاية جنباً إلى جنب السلاح التقليدي مسنوداً بأسلحة الدمار الشامل¹.

5. الإجراءات الروسية المتخذة في لمواجهة حرب المعلومات:

جانبا آخر من توظيف أدوات الإعلام وكبرى شركات التواصل الاجتماعي كشفت عنه العملية العسكرية الروسية على أوكرانيا بتحويلها من مجرد أدوات لنقل الأخبار إلى الرأي العام وتعزيز التواصل بين الأفراد في هذا العالم الافتراضي، إلى سلاح قوي لإدارة نزاعاتها مع خصومها.

لذلك بات جلياً امتلاك الدولة لشركات ومنصات إعلامية ورقمية ذات قاعدة وطنية قد أصبح من أهم أدوات فرض سيادة الدول على أقاليمها (السيادة الرقمية)، إذ لعبت خلال هذه العملية العسكرية وسائل الإعلام التقليدية وغير التقليدية الروسية دوراً مؤثراً وفريداً في نقل الحرب من الواقع إلى العالم الافتراضي والعكس، بهدف ترجيح كفتها في ميزان الحرب، لأن سياسات تلك الشركات ستخضع في النهاية لرؤية وأهداف الدولة المالكة لها، وهو ما جسده السلوك الروسي تجاه أوكرانيا منذ الإراصات الأولى له².

من الناحية التشريعية والقانونية، أقر مجلس الدوما خلال جلسته العامة يوم 4 مارس 2022، قانوناً جديداً لتجريم التضليل الإعلامي، ينص هذا القانون على فرض عقوبات جنائية وغرامات مالية على النشر المتعمد لأي معلومات وبيانات كاذبة خاصة بالقوات المسلحة الروسية، أو

1 - محمد الأمين موسى، مرجع سابق، ص 15.

2 - أمانة فايد، كيف امتدت الحرب الروسية-الأوكرانية إلى العالم الافتراضي، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، الثلاثاء 28 يونيو 2022، على الموقع:

تتعارض مع الرواية الحكومية الرسمية أو التوجه الروسي بكل ما يتعلق بالحرب الأوكرانية، حيث صرح المتحدث الرسمي باسم الكرملين "دميتري بيسكوف" بأن "هذا القانون ضروري وعاجل وصارم بسبب الحرب الإعلامية غير المسبوقة على روسيا، نحن في وضع استثنائي يتطلب إجراءات استثنائية"¹.

ردًا على الحرب الإعلامية التي شنها الغرب ضد روسيا، والتي رأت الحكومة الروسية بأنها تمس حقوق وحرّيات مواطنيها على مواقع التواصل الاجتماعي، من خلال تقييد الحسابات الرسمية لمواقع إخبارية ووكالات أنباء وقنوات خاصة روسية مثل قناتي "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" الحكوميتين، يزعم أنها تهدد الأمن القومي لدول أوروبا، ففرضت رقابة مُشددة على أي محتوى يروج لوجهة النظر الروسية ويناهض الرؤية الغربية، مما جعل هيئة تنظيم وسائل الإعلام الروسية في اليوم الثاني من العملية العسكرية تقرر قيود على الوصول لموقعي "فيسبوك" و"تويتر" المملوكتين لشركة "ميتا" الأمريكية داخل حدود الدولة الروسية كإجراء مماثل، هذا القانون الاستثنائي جاء على خلفية استمرار الاتهامات المتبادلة والسياسات الإعلامية العدائية بين الجانبين الروسي والغربي، بشأن حظر وحجب بعض الصحف ووكالات الأنباء والقنوات للطرفين*.

هذه الإجراءات والسياسات المنتهجة من طرف روسيا والغرب لإدارة حرب المعلومات التي عرفها الفضاء الإعلامي خلال هذه العملية وصلت حد تقييد وحجب مختلف التطبيقات والمنصات الإعلامية والاجتماعية بصورة مُتبادلة.

الإعلام الغربي الذي طالما دافع عن حرية التعبير والرأي وجميع الحقوق، وندد بكل أشكال القمع والتكليم، افتقد خلال تغطيته لهذه الأزمة لكافة معايير الموضوعية والحيادية والمهنية، حيث كشف ازدواجية ممارساته التي تعمل وفقًا لمصالحه وتوجهاته وأهدافه، كما أظهر انحيازًا جليًا لتبني رواية واحدة صاغها الغرب وفقًا لمصالح الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، مع شن حرب مُنظمة لقمع وحجب أي وسيلة إعلامية تروج للرواية الروسية أو تدعمها، لضمان تدفق كم هائل من المعلومات والأخبار المناهضة للسلوك الروسي على أوكرانيا، وحشد الرأي العام العالمي وتوجيهه ضد روسيا.

هذا السلوك الغربي جعل القيادة الروسية تبني سياسة متشددة لمنع تداول أي معلومات أو بيانات غير تلك التي تعتمد عليها الرواية الروسية، خاصة بعد حظر منصات التواصل الاجتماعي الموجهة للروايات الغربية، والتي على رأسها "فيسبوك" و"تويتر"، للاعتماد روسيا بشكل أساسي على منصة محلية شبيهة تُسمى "فكونتاكي"^{**}، سبق وأن حققت أعلى نسبة استخدام داخل روسيا قبل العملية العسكرية (خلال عام 2021)، بنسبة وصلت إلى حوالي 73% من إجمالي مُستخدمي منصات التواصل الاجتماعي في البلاد.

1 - تقرير مصور بالتلفزيون العربي حول الصراع الإعلامي المحتدم بين روسيا والغرب، بعنوان: وسائل الإعلام.. حرب من نوع جديد بين روسيا والغرب، 7 مارس 2022، على الموقع: <https://bit.ly/3t4pa5l>

* من بين أبرز ردود الأفعال الغربية هي الحد من أنشطة بعض مؤسساتها الإعلامية في روسيا، مثل شركة "بلومبيرج"، و"سي إن إن"، و"بي بي سي"، فضلاً عن قرار شركة "تيك توك" بتعليق البث المباشر من روسيا، وحجب إمكانية نشر أي مقاطع جديدة من جانب المستخدمين الروس، لضمان أمن وحماية العاملين في الشركة ومستخدميها، هذا فضلاً عن توظيف الغرب للمنصات الرقمية في شن حرب اقتصادية ضد روسيا، من خلال إعلان موقع "يوتيوب" التابع لشركة "جوجل" و"فيسبوك" و"تويتر" عن حظر إعلانات وسائل الإعلام التابعة للحكومة الروسية، ومنعها من تحقيق أي أرباح مالية عبر تلك المنصات الرقمية.

** "فكونتاكي" موقع روسي مشابه لموقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" تأسس 10 أكتوبر 2006، مقره الرئيسي في سانت بطرسبرغ، يعد من المواقع الأكثر شعبية في روسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا وكازاخستان، كما له شعبية بين المستخدمين العرب.

5. الخاتمة:

المتتبع لسلوك الدول الصاعدة وتحالفاتها مع بعضها يدرك بداية تراجع القوى المهيمنة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من خلال أدواتها السياسية والاقتصادية التي تبشر بإمكانية ظهور نظام متعدد الأقطاب، هذا المرحلة التي بدأتها الصين بصدمة القوة الحيوية (كوفيد 19)، الذي أرجع للدولة الوطنية وحدودها هيبته، كما زعزع عناصر ثقة المعسكر الغربي المبنية على المادة والمصلحة، تأتي روسيا لتعزز هذا النهج بسلوكها اتجاه أوكرانيا وتثبت للعالم مرة أخرى مدى هشاشة هذه المنظومة الغربية التي دمرت العديد من القيم الإنسانية مركزة بشكل كبير على الآلة الإعلامية، حيث قودت علاقة الإنسان ببيئته الحقيقية، ووضعت تكتلهم العسكري (حلف شمال الأطلسي) أمام إمتحان صعب.

فالعملية العسكرية الروسية على أوكرانيا أعادت للأذهان الحروب العظمى التي شهدتها البشرية، والتي نشب لأسباب تختلف عن أسباب نشوب الحروب التي عهدناها، تستخدم فيها وسائل وأساليب تختلف عن تلك المستخدمة في الحروب، دولة نووية تعيد ترتيب أهدافها الإستراتيجية بعدما إستطاعت بناء ذاتها داخليا وفق عناصر إدراك إستراتيجي تجمع بين الأصالة والحداثة، بين التفكير العلمي والعمل الميداني، والتي يرى فيها الروس بأنها معركة وجودية، ليست مع أوكرانيا وإنما في مواجهة القوة البحرية الغربية حسب تعبيرهم، لذلك وجب استعمال كل وسائل القوة بما فيها النووية إذا تطلب الأمر ذلك.

من الوسائل المهيمنة للسلوك الروسي على أوكرانيا التقنيات الدعائية وأساليب التأثير في الفضاء الرقمي الذي استدعته طبيعة السلوم العسكري وخصائصه، سلوك بين طرفين غير متكافئين من حيث العُدَّة والعتاد والقوى السياسية والاقتصادية والجغرافية، وهي بعيدة عن الصور النمطية التي تُرسم في الأذهان، ذلك أنه صدام بين دولتين يجمع بينهما الكثير حضارياً وثقافياً ودينياً وإثنيًا. كل ذلك استدعى إنتاج خطاب دعائي تقليدي حديث يستند إلى الثورة الرقمية، سعى لخلق بيئة تواصلية عولمية جدلية في الخارج لا يحصل فيها الإجماع على الإدانة، وفي الداخل حتى يحدث الالتفاف وتحمل تبعات هذا السلوك باعتبارها الخيار الذي لا مفر منه.

هذه البيئة الجديدة تغيرت فيها تمامًا وسائل وأساليب الدعاية، حيث وأصبح التحكم في المعلومات وانتقاء ما يجب نشره أمرًا في غاية الصعوبة. غير أن روسيا قدمت خطابًا دعائيًا قادرًا على التحكم مع البيئة التواصلية الجديدة بحيث يستلهم فعالية الإعلام الرقمي وقوة ودور الدولة في هذا المجال.